





جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي
تيسمسيلت-

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، علوم وتقنيات
النشاطات البدنية والرياضية، العلوم الاقتصادية، والعلوم الإنسانية
والاجتماعية

المجلد السادس عشر العدد 01 جوان 2025

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "



جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت - الجزائر -

شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

- ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (15)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).

- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة

الفرنسية بخط (Times new roman) حجم (12)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (10).

- تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحات ولا تتجاوز 15 صفحة.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسنول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد السادس عشر العدد 1 جوان 2025

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

تصدر عن جامعة تيسمسيلت - الجزائر

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

جامعة تيسمسيلت. الجزائر.

البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:

أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:

أ. د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

أ. د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:

أ. د. واضح أحمد الأمين، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. العيداني الياس، أ. د. عطار خالد،

أ. د. لكحل فيصل، أ. د. قاسم قادة، د. دهقاني أيوب، أ. د. بوسكرة عمر.

سكرتيرا المجلة:

عرجان نورة

عطار خالد

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، أ. د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصاييح محمد، د. بن رابح خير الدين، أ. د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بن فريجة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركة ختة، أ.د. طعام شامخة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسللي مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، أ. د. بوغاري فاطمة، أ.د. قردان ميلود، أ.د. يونس محمد، أ.د. فتوح محمود، أ.د. عيسى حورية، د. بوضوار صورية، د. وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، أ.د. بشير دردار، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد رشراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة لمين دباغين، سطيف: أ. د بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مخطار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجحي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف: أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د موسى فريد، أ. د. بوراس محمد، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قزران مصطفى، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، أ.د. العيداني إلياس، د. عيسى سماعيل، د. بوزكري الجيلالي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكريدي عبد القادر، د. عادل رضوان. من جامعة ابن خلدون تيارت: أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د.

شريط عابد. UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE

Mensson

كلمة العدد

السلام عليكم،

بعد واجب التّحيّة تطل عليكم مجلة المعيار – كما عودتكم – بمجلد جديد وعدد متجدد هو المجلد السادس عشر، العدد الأول، حاملة في طيّاتها مجموعة ثرية ومتنوعة من المقالات العلميّة والبحوث الأكاديمية، التي تتناول طيفا واسعا من المواضيع والقضايا التي تهم القارئ المتطلّع للمعرفة والفهم العميق.

وكالمتوقع، يتضمن هذا العدد نخبة من المقالات التي كتبت بأقلام نيرة، وبأفكار ناضجة، تجمع بين العمق العلمي والطّرح الجذّاب، وذلك في مجالات شتى، تشمل: الأدب، والقانون، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، وغيرها وبلسان مختلف اللّغات منها الانجليزيّة، الفرنسية والألمانيّة، ومن الميادين التي تتجدّد أهميتها مع متغيرات الواقع وتحديات العصر.

وما يضيفي على هذا العدد طابعا خاصّا، هو ما يتضمنه من أعمال كتبت من داخل الوطن ومن خارجه، في دليل واضح على عمق الامتداد العلميّ للمجلة، وحرصها على جمع الآراء والأصوات العلميّة من كافة الأصقاع، فكلّ مقال يضيف بعدا ورؤية تساهم في بناء معرفة شاملة ورؤية متوازنة نتطلّع من خلالها إلى نيل رضى القارئ والفوز بإعجابه.

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. عيساني محمد

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة العدد أ. د. عيساني امحمد	هـ
01	أثر السياق النحوي في إظهار معنى القراءات ياسر بن محمد الخليل -جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، السعودية	16-1
02	أعلام النزعة الأخلاقية للشعر الزباني وموضوعاته د. مولاي البودخيلي سيدي عبد الرحيم -جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.	24-17
03	الانسجام النصي في قصيدة" ترجمت الفوارس " للشاعر مسعد محمد زياد بحري قويدر -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	40-25
04	التأويل النحوي عند علماء العربية القدامى حاج مدني خديجة -جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر.	53-41
05	التجريب السردى عند سمير قسيبي: بين مقتضيات البنية وتجليات الرؤية علاك نصيرة-المركز الجامعي مرسللي عبد الله تيبازة، الجزائر.	72-54
06	الجناس وتقسيم المقسم بن عطاء الله مليكة -جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر	85-73
07	القضية الفلسطينية بين الإبداع الأدبي والإبداع السينمائي (روايات غسان كنفاني نموذجاً) لخضر سعيد بلعربي -جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر	99-86
08	المعتقدات الشعبية في منطقة الونشريس –الأصول والامتداد – أ. د. غربي بكاي -جامعة تيسمسيلت أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر.	109-100
09	النظرية الذهنية اللغوية – دراسة تحليلية لأراء "راي جاكندوف" حول البنية التصورية- بودانة طه الأمين-المركز الجامعي أفلو، الجزائر	119-110
10	بلاغة الصورة بين البيان والتصوير عند سيد قطب ط. د رايس نورية / أ. د بلمرسلي السبع -جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	133-120
11	تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر من النسق اللغوي إلى النسق الثقافي قراءة في نماذج د. ناجي نادية -المركز الجامعي شريف بوشوشة أفلو، الجزائر	145-134
12	تحولات الكتابة الشعرية ومحاولة التخطي دائماً بدر شاكر السياب أنموذجاً ط. د. عيادي خالد / أ. د. محمودي بشير -جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	158-146
13	جهود عبد الكريم الفكون الصرفية من خلال كتابه: فتح اللطيف أ. د بلحسين محمد -جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	166-159
14	حذف نون الفعل المضارع في القرآن الكريم بين القراءة والنحاة أ. د. مسعودة مرسللي -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	183-167
15	فاعلية الخرائط الذهنية في تعليم النحو "السنة الأولى متوسط أنموذجاً" كجعو طاطمة-المركز الجامعي مرسللي عبد الله، تيبازة، الجزائر	197-184
16	مستوى قصور الانتباه لدى تلاميذ المرحلة التحضيرية من وجهة نظر المعلمين د. طوبال فطيمة-جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2-، الجزائر	210-198
17	مظاهر التجديد في الدرس البلاغي المعاصر عند صلاح فضل ومحمد عبد المطلب مختيش شريفة -جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر	218-211
18	من أساليب الحذف التركيبي في القرآن الكريم –الاحتباك- ط. د. بومدين مصطفى لامين / أ. د. بوعرارة محمد -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	231-219
19	Einfluss kultureller Aspekte auf den Fremdsprachenunterricht Influence of cultural aspects on foreign language teaching ZOUIRA Mohamed -Universität Oran2, Mohamed Ben Ahmed, algerien	243-232
20	Fostering Autonomy in Language Learning through Artificial Intelligence Bensalah Hiba- Ibn Khaldoun University, Tiaret, Algeria	257-244

269-258	Satirizing American Authoritarianism: Power and the Limits of Resistance in Kurt Vonnegut’s “Harrison Bergeron” Ounis Chahrazad -University of Algiers 2, Algeria	21
285-270	Suprasegmental phonemes in linguistic analysis Messaoudi fadela -University center of Maghnia, Algeria	22
299-286	Traduire Le Roman Algerien D’expression Française : Entre Forme Hybride Et Questionnement Identitaire Bousseboua Zeineb-Université des Frères Mentouri. Constantine 1. Algérie	23
315-300	Unraveling Reciprocal Intricacies in The Iceman Cometh and “Hughie”: Intertextual Misreadings Dekkiche Mohamed Amine / Prof. Kaced Assia University of Algiers , Abou El Kacem Saâdallah, Algeria	24
330-316	الإكراه الاقتصادي في ميزان العلاقات الدولية: دراسة في فعالية البدائل غير العسكرية بوجلال عمر -جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.	25
346-331	الاهتمام الدولي بالتعليم من أجل التنمية المستدامة د. عتو أحمد -جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي -تيسمسيلت-الجزائر	26
362-347	الحق في بيئة سليمة من منظور التشريع الجزائري والقانون الدولي أبو القاسم عيسى -جامعة غرداية، الجزائر	27
376-363	المواطنة الرقمية: إحياء للمثال الديمقراطي أو تكريس للهيمنة الليبرالية د. بلعموري نعيم -جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر	28
391-377	آليات دعم العمل والفكر المقاولاتي في الجزائر قندوز أحمد / عبد المجيد بلغيث -جامعة أوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر	29
408-392	دراسة اتجاهات المستهلك الجزائري نحو تبني تطبيقات الذكاء الاصطناعي في اختيار الوجهات السياحية الخارجية: دراسة تحليلية استطلاعية زرادنة محمد -جامعة تيسمسيلت، الجزائر.	30
425-409	واقع ادارة المخاطر التشغيلية في البنوك الجزائرية قلي سهام 1 / خلف الله حسام الدين -جامعة تونس المنار، تونس	31
439-426	Exploring the Impact of Blockchain Technology on Modern Financial Systems Djerfi Abderahmane, University of jijel, Algeria /Chaalal cherif Abdelillah Ibn khaldoun university, Tiaret	32
454-440	The reality of the digital economy in Algeria through the study of the information technology sector during the period 2015-2024 Kebaili Abdenmour / Deghmoum Hichem, University of Algiers3, Algeria	33
470-455	متطلبات التوجيه المهني ودورها تحقيق الأداء المتميز لدى العاملين في المنشآت الرياضية د بلقرش محمد / أ. د عمارة نور الدين-جامعة المسيلة، الجزائر	34
480-471	أسس البناء الحضاري في منهج مالك بن نبي بناء النهضة - أنموذجا- د. بوعلام حمديدي / د. فريال طيبون- جامعة أحمد بوقرة بومرداس، الجزائر	35
496-481	الإشراف العلمي في البحوث الأكاديمية (التأزر بين دور المشرف ودور الباحث في إنجاح البحوث العلمية) حرزي السعيد / كتفي ياسمينه -جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.	36
512-497	التماسك الاجتماعي سرورة مفاهيمية وتعدد تصورات ط. د معزوزي ناصر / أ. د بكاي رشيد-جامعة عمارثليجي الأغواط، الجزائر	37
528-513	الحدثة وما بعد الحدثة في الموروث السوسيولوجي زهواني عمر-جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	38
537-529	الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر محمد أركون نموذجا د. سحوان رضوان، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	39
552-538	الدرس الفلسفي وإمكانية التعليم الرقمي بوحسين جلول / أ. د. بن ناصر حاجة -جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر	40
564-553	جوانب من الحركة العلمية في مدينة مازونة ونواحيها من النصف الثاني للقرن 12هـ/م إلى القرن 13هـ/م د. بوشامة أحمد-جامعة أحمد بن يحيى الزنشريسي تيسمسيلت، الجزائر	41
578-565	دور التحول الرقمي في جودة الخدمة العمومية في الجزائر ط. د بوشياخي عبد اللطيف / ط. د بوشياخي عصام/ أ. دنقاز نجيبه - 2,1 كلية الحقوق، جامعة صفاقس، تونس/3كلية الحقوق، جامعة أريانا، تونس	42

593-579	دور المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات من المنظور الإسلامي في تحقيق التنمية المستدامة عاصمي نبيلة - أحمد بن يحيى الونشريسي، الجزائر/ موسى عيسى - جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر.	43
606-594	مبدأ مراعاة مقاصد المكلفين وأثره في فقه المعاملات المالية في المذهب المالكي صرموم رايح - أحمد بن يحيى الونشريسي، الجزائر	44
624-607	مساهمة سي محمد ولد سي حمزة في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالجنوب الغربي الجزائري (1865.1864) ط. د. قايد عزالدين/ د. مايدي كمال - المركز الجامعي الشريف بوشوشة، أفلو، الجزائر	45
641-625	معوقات البحث العلمي في الجزائر والحد من الناجمة أ. د. العيمش محمد/ د. هاشم رايح - ملحقة قصر الشلالة. جامعة تيارت، الجزائر	46
657-642	Algerian Family Ben Djelal al-Tlemceni: One hundred years of scientific contribution in Fes (10th-11th Century Hijri / 16th -17th Century) Dr. Saidani Mahfoudh- Djilali Bounaama University, Khemis Miliana, Algeria	47
665-658	Arab Christians and the writing of Ottoman history, the Lebanese historian Philip Hitti (1886- 1978) as a model Abderrazak Toumiat- Yahia Fares University , Medea, Algeria	48
680-666	Exploring Destructive Patriarchy and Subversive Ideological Forces in Sam Shepard's Curse of the Starving Class (1977) and Buried Child (1978) Amina Mechta / Pr. Assia Kaced, University of Algiers, Algeria	49
696-681	Rhetorical Techniques in the Treatise on Argumentation (1958) by Chaim Perelman (1912-1984) and Lucie Olbrechts (1899-1987) Zhor Hameurlaine - Ibn khaldoun university of tiaret , Algeria	50
711-697	The Aesthetics of Time and Place in the Novel The Scent of a Woman by Amin Zaoui Arioua Mounir - University of Boumerdes , Algeria	51
726-712	The Deconstructive Method in Philosophy and Its Applications in the Arab-Islamic Heritage: Mohamed Arkoun as a Model LAKHEL Hamdi - Mohamed Kheider University, Biskra, Algeria	52
741-727	The Reality of Household Food Waste Reduction Among Families in Chlef Province: An Analysis of Awareness, Behaviors, and Influencing Factors Nacef Mohammed - Hassiba Benbouali University of Chlef, , Algeria	53

التأويل النحوي عند علماء العربية القدامى

Grammatical Interpretation Among Ancient Arabic Scholars



حاج مدني خديجة^{*1}

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب، الجزائر.

k.hadjmadani@univ-setif2.dz

تاريخ القبول: 2025/04/13

تاريخ الإرسال: 2025/01/26

ملخص:

يحاول هذا البحث تقديم إبانة منهجية عن الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها علماء العربية القدامى في إصدار الحكم النحوي حول المسائل المخالفة للصحة النحوية؛ إذ تُعدّ الضرورة الشعرية عند سيبويه (ت188هـ) واختلاف لغات العربية مع صعوبة الإحاطة بها لابن فارس (ت395هـ)، والعمل بالمسوغ القياسي لابن مضاء القرطبي (ت595هـ)، والأصل والفرع والقياس عند ابن جني من النماذج التي لجأ فيها النحاة إلى التأويل النحوي كحجة برهانية في عمليتي القياس والاستنباط، حيث كانت حجاجية التأويل النحوي مدعّمة بالعلل التّرجيحية والمسوّغات البرهانية وفق مقتضيات الضرورة اللغوية والسياقية، وهو ما جعل عملية وصف وتفسير ظاهرة التأويل النحوي تكشف أنّ التأويل ضربٌ من القياس يلجأ إليه النحوي لردّ الفرع ومواضع العدول إلى أحكام النحو وأصوله دون إخلال بالقاعدة النحوية وضوابطها.

الكلمات المفتاحية: التأويل النحوي؛ العِلل؛ القياس؛ الحجاجية؛ القاعدة النحوية.

Abstract:

This study aims to provide a methodical elucidation of the rhetorical strategy employed by classical Arabic grammarians in issuing grammatical rulings on matters that deviate from normative grammatical correctness. Among the key examples are Sibawayh's (d. 188 AH) concept of necessity in poetry, Ibn Faris's (d. 395 AH) notion of linguistic diversity and the difficulty of encompassing it, Ibn Mada' al-Qurtubi's (d. 595 AH) use of analogical reasoning, and the theories of origin and branch and analogy according to Ibn Jinni. These represent instances where grammarians resorted to grammatical interpretation as a legitimate argumentative tool in the processes of analogy and deduction. The rhetorical power of grammatical interpretation was supported by probabilistic reasons and logical justifications according to the necessities of linguistic and contextual conditions. Consequently, the process of describing and explaining the phenomenon of grammatical interpretation reveals that it serves as a form of analogy that grammarians use to align exceptional cases and deviations with the foundational rules of grammar, without violating the established norms and constraints of the grammatical system.

Key words: Grammatical interpretation; causal reasoning; analogy; argumentative; grammatical rules.

* المؤلف المراسل: خديجة حاج مدني

مقدمة:

يتيح البحث في "التأويل النحوي" الفرصة لاستكشاف الآليات الإجرائية التي اعتمدها علماء العربية القدامى في عملية تفسير اللغة وتقعيدها؛ إذ تكمن أهميته في إعادة قراءة التراث النحوي بمنظار ووصفي يحلّل آراء النحاة حول المسائل النحوية الأصلية والفرعية. هذا من شأنه يفتح المجال للمساهمة في إثراء الساحة البحثية بمقاربات حديثة -تنظيرية وتطبيقية- تميّط اللثام عن أزمة قراءة التراث اللغوي العربي، إذ يساعد هذا الجهد على تعميق الصلة بالتراث وتقريب جهازه المفاهيمي أكثر.

لأجل ذلك يروم البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات: ما هو التأويل النحوي وما هي أسبابه وفيّمْ تكمن حاجة النحاة إليه لاستنباط الحكم النحوي؟ كيف أثرى التأويل النحوي الدراسات النحوية على المجالين اللغوي والسياقي؟ ما هي الاستراتيجيات التي اعتمدها النحاة في التأويلات النحوية؟ كيف يوجّه السياق عملية التأويل النحوي في ردّ الفرع إلى أصله؟ ما هي أبرز الشواهد التي اعتمد فيها العلماء على التأويل النحوي؟

تجدر الإشارة إلى أنّ البحث في هذا المجال قليل كونه من المسائل الغامضة التي تستدعي التعامل المباشر مع النصوص النحوية وآراء العلماء. وممن أفاد في هذا التخصص:

- إبراهيم براهيم: منزلة التأويل النحوي ومظاهره في التفكير اللغوي العربي.
- رنا ماجد حميد: ظاهرة التأويل وعلاقتها بالعامل النحوي.
- ماهر محمود عميرة: التأويل النحوي بدايته وتطوره وأسباب التعدّد فيه.
- خالد حسين أبو عشمه: التأويل النحوي.

اقتضت منهجية البحث اتباع الخطة الآتية:

- (1) المطلب الأوّل: تمّ التطرّق فيه إلى مفهوم التأويل النحوي لغويا وإجرائيا.
- (2) المطلب الثاني: بيّن أهمية التأويل النحوي في القياس والاستنباط.
- (3) المطلب الثالث: منهجية التأويل النحوي عند سيبويه، ابن جني، ابن الأنباري، والخلافات بين الكوفيين والبصريين.

خاتمة لأهم النتائج

بعد الفحص والتحليل، تمّ التوصل إلى أنّ النحاة قد اعتمدوا منهجية علمية موضوعية في التأويل النحوي تقوم على مبادئ أساسية، منها:

- (1) السياق: إذ يعتمد النحاة على كلام العرب من أجل تخريج الحكم النحوي المناسب وإثبات علاقة الفرع بأصله النحوي.
- (2) القياس: فأنشاء تحليل المسائل النحوية يستند النحاة على القياس لاستنباط القاعدة النحوية.
- (3) الاستدلال: إذ يعمل الاستشهاد والبرهان والتعليل على تدعيم التأويل النحوي.

المطلب الأول: مفهوم التأويل النحوي

الفرع الأول: المفهوم اللغوي:

من القضايا الهامة في التراث اللغوي العربي ما يصطلح عليه بالتأويل النحوي، إذ يتركب من مصطلح "التأويل interpretation" الذي يعني لغة: الرجوع إلى الأصل "آل يؤول أي رجع. قال يعقوب: يقال "أول الحكم إلى أهله" أي أرجعه وردّه إليهم (أبو الحسين أحمد بن فارس، ج1، ص159). ومن مصطلح «النحو grammar» الذي يعني: القصد "النون والحاء والواو. كلمة تدل على قصد. ونحوت نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام، لأنّه يقصد أصول الكلام فيتكلّم على حسب ما كان العرب تتكلّم به." (أحمد بن فارس، ج5، ص403). نأخذ من هذا التوضيح اللغوي أنّ "التأويل النحوي grammatical interpretation" يستعين بالتأويل من أجل إعادة قراءة النصوص ضمن أصول النحو وأحكامه، ذلك أنّه يُعين المحلّل عل ربط الفروع بأصلها، لذا يعدّ مهما في عمل النحوي الذي يهتم بالظاهرة اللغوية في شكلها المباشر والمطابق للقاعدة النحوية، لأنّ جهود النحاة كانت تركز على جانب التعقيد للغة والعناية بسلامة التراكمات والصحة الإعرابية، حتى لا يحيد اللحن بالمتكلم عن النهج العربي الصحيح.

الفرع الثاني: المفهوم الإجرائي:

وفق الرؤية الإجرائية، يقتضي التحليل النحوي للظاهرة اللغوية مسوغ التأويل لبيان علل القاعدة النحوية خصوصاً، تلك التي لم تتوفر فيها شروط الصحة النحوية كالجوازات الشعرية أو اختلاف لغات العرب، ثمّ ربطها بشواهد توافقها لكي يتمّ استنتاج الحكم النحوي؛ فالضرورة اللغوية والسياقية معا قد أخرجت مصطلح التأويل النحوي بجعله متأصلاً في استراتيجيات النحاة التحليلية والتعليلية، وإن لم يظهر بصيغته الحرفية إلا ضمن ربط التأويل بالعملية النحوية.

إنّ رصد هذه العملية في مؤلفات الأولين، تكشف أنّها منهجية كان يراد بها "قواعد النحو، فما خرج عنه يجب أن يتأول حتى يعود إليها" (محمد عبيد، 1989، ص157). كما أنّ سعة الشواهد العربية وتعدّدها هو ما اضطر النحاة إلى الاستعانة بالتأويل لإتمام العمل؛ ف"إذا كان الأخذ بالظاهر هو الأصل في درس الألفاظ والتراكيب لفهم المعاني واستنباط الأحكام فإنّ اللجوء إلى التأويل وسيلة فرعية تساعد الدارس على بلوغ هذه الغاية ... والعدول عن الظاهر إلى التأويل مرتبط بأمريّن: أولهما وقوع اللفظ في غير موضعه، والثاني احتمال ترجيح باطن النصّ على ظاهره." (غازي مختار طليمات، 1998، ص251). إذ نجد في هذا القول مسوغ التأويل للترجيح؛ ذلك أنّ التأويل لا يهتم بظاهر الكلام لوحده، بل يستعين به ليقتفي آثار العميق والبعيد من القواعد.

المطلب الثاني: أهمية التأويل النحوي في القياس والاستنباط

الفرع الأول: قضية الأصل والفرع:

يندرج موضوع التأويل النحوي ضمن قضية الأصل والفرع؛ يفهمنا إياها "بن فارس: ت395" في الصّاحبي بقوله: "إنّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أمّا الفرع فمعرفة الأسماء والصفات، كقولنا: رجل وفرس،

وطويل وقصير، وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلّم. وأمّا الأصل: فالقول عل موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخاطباتهم، ومالها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً" (ابن فارس، الصاحي، ص3). ممّا هو مفيد في هذا القول أنّ اللغة ترتبط بسياقها الاجتماعي، لأنّها وليدة بيئة ومتكلّمين لهم معتقدات خاصة في توظيفها واستعمالها، كما أنّ "القياس النحوي" يؤكّد ديناميكية اللغة أو صعوبة الإحاطة بها، لأنّه السبب الذي أدى إلى اطراد القياس، ففي ذلك إظهار لسبب اعتماد التّأويل النحوي؛ ليكون التّأويل بذلك: "ضرباً خفياً من القياس، يلجأ إليه النحوي حينما يبحث عن أربعة أركان للقياس فلا يجدها كلّها، حينئذ يضطر إل التّأويل" (غازي مختار طلبيمات، ص252).

نستنتج من هذا، أنّ القياس أساس لا يصح من دونه النحو، كما يقول "ابن الأنباري": "اعلم أنّ انكار القياس في النّحو لا يتحقّق، لأنّ النّحو كلّ قياس، ولهذا قيل في حدّه: "النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو" (الأنباري، ص95). لذا، ترجع مظاهر التّأويل النحوي إلى أربعة أقسام هي (إيثارشوقي سعدون، 2012، ص52).

- (1) الحذف.
- (2) الزيادة.
- (3) التضمين.
- (4) التقديم والتأخير.

بالإضافة إلى ما سبق، كان إخراج الشاذ عن القياس بناء على المعطيات السياقية، لأنّ العمل يكمن في إيجاد مسوغات تعيده إلى أوّله، لأجل ذلك كان القياس عند النّحاة مرتبطاً بالبيئة العربية وسياقها، إذ يقول السيوطي: "فليس القياس الشّرعي كالقياس اللّغوي في المعنى، وإن تمسّكوا بأنّ القياس يجري في المصادر، نحو ضرب يضرب ضرباً، وأكل يأكل أكلاً؛ فلسنا نسلم أنّ {اللغة} تثبت بالقياس وإنّما تثبت "نقلاً عن العرب". (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، 1998، ص61، 62).

الفرع الثاني: المسوغ القياسي والعلل النحوية الترجيحية:

تربطنا قضية الأصل والفرع بقضية أخرى يتعلّق التّأويل النحوي بها، هي القياس النحوي واطراده، يقول ابن الأنباري: "اعلم أنّ القياس في وضع اللسان بمعنى التقدير، وهو مصدر قايست الشيء بالشيء مقايسة وقياساً: قدرته، ومنه المقياس أي المقدار... وهو في عرف العلماء عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل" (أبو البركات عبد الرحم بن محمد الأنباري، 1971، ص93) من المهم في تعريف القياس هو وجود العلة التي تُلحق الفرع بالأصل، بناء على هذا يكون التّأويل النحوي ممنهجاً وقائماً على حجة عملية وبراهين منطقية واستدلال استشهادي منقول عن السند الصحيح، ففي فصل ترجيح الأدلة، ينبّه "ابن الأنباري" (ت328هـ) إلى أنّ الترجيح يكون في النقل والقياس، و"النقل هو الكلام العربي الفصيح (المنقول بالنقل الصحيح) الخارج عن حدّ القلة إلى حدّ الكثرة" (الأنباري، ص81).

سبب اختلاف لغات العرب كما ينقل الإمام السيوطي عن الأخفش يكمن في أنّ "اختلاف لغات العرب إنّما جاء من قبل أنّ أوّل ما وُضع منها وُضع على خلاف، وإن كان كلّ مسوقاً عل صّحة وقياس، ثم

أحدثوا من بعد ذلك أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنّها على قياس ما كان وُضع في الأصل مختلفا {وإن كان كلّ واحد أخذاً من صحة القياس حظاً} (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ص 55، 56).

نستنتج من هذا أنّ اللغة مهما خضعت لقواعد تصفها، تبقى ذات فطرة ديناميكية لا يمكن حصرها في مدوّنة واحدة أو كلام الأفراد، حتّى إذا أخذناها في صورة النظام المتكامل محدود البداية والنهاية، ستجد منفذا لتخرج الشاذ عن القياس والقانون النحوي والتركيبى؛ فهذا النشاط اللغوي يبقى ثابتا وفق المنهج النحوي وخاضعا لقوانين القاعدة اللغوية السليمة، لكنّه متفّلت عند دارسها وعليه الاعتراف بجوانب التغيّر والتطوّر فيها.

على هذا الأساس طال القياس وكثر الاستشهاد، لأنّ المهمة لم تنجح في حصر الاستعمالات اللغوية داخل قانون واحد ولا في بيئة مكانية وزمانية واحدة، بل يرجع موضوع القياس والاطراد فيه إلى العلاقة بين اللغات وأسيقتها، لأنّها ذات خاصية اجتماعية تجري في ألسنة الجماعة اللغوية وفق منطقهم وتصوّرهم وقوانينهم الخاصة، والنحاة قد بنوا قواعد اللغة بناء على هذه الميزة، فكما "قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي" (ابن فارس، الصاحي، ص 26).

كما بيّن "ابن مضاء" أهمية العمل بالمسوّغ القياسي الذي يقوم به النحاة بين الاستقراء والقياس؛ أي بين السلوك اللغوي الذي بدت فيه الظاهرة اللغوية المستقرأة وبين الحكم على القاعدة، أمّا في جانب القياس فإنّه يفرض عليها صرامته يتناولها بالتغيير والتأويل أو يسمها بالشذوذ (محمد عيد، ص 100) بالإضافة إلى هذا، يوجّهه "ابن فارس" في الصاحي أسباب العدول عن القاعدة الأصلية إلى صعوبة الإحاطة بلغة العرب واختلافها، "على أنّ لغة العرب هل يجوز أن يُحاط بها" (محمد عيد، ص 28). من أوجه الاختلاف التي ذكرها:

- 1) الاختلاف في الحركات.
- 2) الاختلاف في إبدال الحروف.
- 3) الاختلاف في الحركة والسكون.
- 4) الاختلاف في الهمزة والتلين.
- 5) الاختلاف في التقديم والتأخير.
- 6) الاختلاف في الحذف والإثبات.
- 7) الاختلاف في الإعراب، مثل: ما زيدٌ قائماً" و"ما زيدٌ قائمٌ"، و"إن هذين" و"إنّ هذان".

المطلب الثالث: منهجية التأويل النحوي

ستتضح لنا منهجية التأويل النحوي من خلال استراتيجيات التحليل في تحقيق انتظام قواعد النحو، فالاستقراء قدّم للنحاة بيانات تفيد أنّ القاعدة الأصلية تندرج تحتها قواعد فرعية لا بدّ من وصفها وتحليلها لتكون ضمنها، هذا الجانب الإيجابي في العمل النحوي قد أثبت أثره الكبير في قراءة الظاهرة اللغوية وامتداداتها الزمانية واختلاف قبائها، بأنّها تأبى الخضوع لقالب الجامد والثابت والسّاكن، بل

تموج بالحركة والتبدّل والتعدّد، لذا كانت الجهود النحوية تجعل للأصل فروعا، وللواجب جوازات. من أسباب التأويل النحوي (ينظر: عبد الفتاح أحمد الحموز، ص21)

(1) نظرية العامل: كحذف الفعل وفاعله، وحذفه وبقاء فاعله، وحذف حروف الخفض وحذف المبتدأ وإضمّار أن.

(2) الافتتان في الأوجه الإعرابية: ويكثر في مواضع تكون الحركات الإعرابية غير ظاهرة.

(3) المعنى: فالنص القرآني لا يُحمل على ظاهره فقط وإلا يفسد المعنى وهنا يدخل التأويل.

(4) المذاهب الدينية: تأويل القرآن الكريم حسب المعتقد الديني.

(5) الاحتجاج للقراءات: القراءات القرآنية السبعة والشاذة أثر كبير في التأويل إما لإبعادها عن الشذوذ وإما لإدخالها أصول النحو.

(6) الأصل النحوي: أول النحاة الآيات القرآنية لتصح أصولهم النحوية، ومن ذلك أنّه لا يصح تفرغ عامل المفعول المطلق المؤكد لعامله، وما جاء على خلاف ذلك يؤوّل. ومن ذلك قوله تعال "إن نظنّ إلا ظنا" وفي الآية الكريمة تأويلات منها حذف نعت "ظنا".

الفرع الأوّل: القياس في التأويل النحوي للضرورة الشعرية

خضعت الضرورة الشعرية للتأويل النحوي منها في "تأخير المضاف إليه عن موضعه الذي ينبغي أن يكون عليه من مجاورة المضاف بلا فصل، كقولك "غلامٌ زيدٌ" و"ضاربٌ بكرٍ"، فإذا اضطر الشاعر جاز أن يفصل بينها بالظروف وحروف الجر، فتشبهها بإن وأخواتها، حيث فصل بينهما وبين أسمائها بالظروف فقط، قال الشاعر ذو الرمة:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيْغَالِهِنَّ بَنَى أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيجِ

أراد: كَأَنَّ أَصْوَاتَ أَوَاخِرِ الْمَيْسِ مِنْ إِيْغَالِهِنَّ بَنَى. " (أبو سعيد السيرافي، 2008، ص241).

يُظْهِرُ لَنَا هَذَا الشَّاهِدُ أَنَّ النُّحُو يَسْتَعِينُ التَّأْوِيلَ أَثْنَاءَ وَصْلِ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ مِنْ خِلَالِ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ النَّحْوِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِجْرَاءَ النَّحْوِيَّ يَرْكَزُ عَلَى الْبُنْيَةِ الشَّكْلِيَّةِ الَّتِي يُوَافِقُ فِيهَا اللَّفْظُ مَعْنَاهُ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّعَمُّقِ فِي التَّفَاصِيلِ؛ أَيْ أَنَّ الْعَمَلِيَّةَ وَاضِحَةٌ مُبَاشِرَةٌ، فَمَا وَافَقَ الْمُسْتَشْهَدُ بِهِ يَدْخُلُ دَائِرَةَ الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ وَمَا لَمْ يُوَافِقْهُ عَدَّ شَاذًا.

تعامل النحاة مع الجوازات الشعرية باستدلال تأويلي عقلي حيث بيّن "سيبويه" (ت188هـ) في «هذا باب ما يحتمل الشعر»: "اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنّها أسماء كما أنّها أسماء، وحذف ما لا يحذف، يشبهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفاً، كما قال العجاج:

قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وُرُقِ الْحَمَى

يريد الحمام" (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ص26).

فهذه الجوازات هي إعادة النظر في الأشعار، لكن ضمن معيار تقاس عليه القاعدة النحوية، إذ يجوز في الشعر ما لا يجوز في غيره، فالضرورة الشعرية تجعل الشاعر يحدث بعض التغييرات في نظام كلامه كي يوافق الوزن.

من شواهد ذلك تصريح ما لا يجوز صرفه أو الحذف كما جاء في مثال سيبويه، إذ نجد الشاعر في أبياته يقدم أهمية قيود الشعر على القلب النحوي ويضطر إلى العدول عن الأصل النحوي، حتى أننا نجدهم يردون على القياس النحوي بالرّفْض، عكس النحاة الذين تعاملوا مع هذه الظاهرة اللغوية باستدلال استثنائي يُجيزوا لهم ما لا يجوز.

وكما يجيز النحاة بعض الضرورات الشعرية، نجدهم أيضاً يعيبون غيرها، كمثال البيت الشعري للفرزدق الذي فيه ضروب من العيوب من التقديم والتأخير:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فإنّ فيه ضروباً من العيوب من التقديم والتأخير. وحق الكلام على ما ينبغي أن يكون عليه اللفظ؛ وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه" (أبوسعيد السيرافي، 2008، ص244). لمن دواعي الرفادة أن نقف عند هذا التوجيه النحوي للعيوب الذي وقع فيه الفرزدق، حيث نجد الإقرار بتأويل الضرورات من خلال تأويل موضوع العدول وتصويبه ليكون مناسباً للنظام النحوي، فمهما اعتقدنا أنّ النحوي يُجيز الضرورة الشعرية إلا أنّ القاعدة النحوية الأصلية تبقى القياس.

المُضي في تأويل الضرورات الشعرية عند سيبويه واضطرار الشعراء إلى العدول عن القياس حفاظاً على صحة الوزن والمعنى والمقصد، يوقفنا عند قوله: "اعلم أنّ الشعر لما كان كلاماً موزوناً، تكون الزيادة فيه والنقص منه، يخرج عن صحة الوزن حتى يُحيله عن طريق الشعر المقصود مع صحة معناه، استجيز فيه لتقويم وزنه من زيادة ونقصان وغير ذلك ما لا يستجاز في الكلام مثله ..." (سيبويه، ص189). من خلال هذا القول يمكننا التنبّه إلى الجواز وعدمه في النحو، خصوصاً المتعلقة منها بالإعراب من رفع المنصوب ونصب المخفوض وإبدال أدوار الحركات الإعرابية بين الكلمات ضمن التركيب، فهي أخطاء تُسقط الشعر وضرورته، إلا إذا كانت المخالفة محصورة في الضرورات السبعة التي حدّدها "السيرافي" في باب تغيير الإعراب عن وجهه، ومنها تغيير وجه الإعراب إلى وجه آخر عن طريق التشبيه.

كما يوضح "سيبويه" مسألة الأصل وضرورة الشعر وكره البدء باللبس في كلام العرب بل الأصل هو المعرفة ولكنه جائز في الشعر في حالة ضعف من الكلام كما يقول، "ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة. ألا ترى أنّك لو قلت: كان إنسانٌ حليماً أو كان رجل منطلقاً، كنت تُلبس، لأنّه لا يُستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا"، (سيبويه، ص48).

من شواهد الضرورة الشعرية التي يظهر فيها التأويل النحوي: التقديم والتأخير، الذي يعني وضع الكلام في غير موضعه أو تغيير في الإعراب لغرض شعري معيّن: ففي "باب التقديم والتأخير": "قال أبو سعيد: اعلم أنّ الشاعر قد يضطر حتى يضع الكلام في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه، فيزيله

عن قصده الذي لا يحسن في الكلام غيره، ويعكس الإعراب، فيجعل الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً، وأكثر ذلك فيما لا يشكل معناه. فمن ذلك قول الأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها.... عند المفاخر إيراد ولا صدر
مثل القنافذ هذاجون قد بلغت ... نجران أو بلغت سواتهم هجر

أراد: بلغت نجران سواتهم أو هجر، وذلك وجه الكلام، لأن السوات تنتقل من مكان فتبلغ مكاناً آخر، والبُلدان لا ينتقلن، وإنما يُبلغن ولا يبلُغن" (أبو سعيد السيرافي، ص 239).

سيساعدنا هذا الشاهد على تبين منهجية القياس التي يتعامل بها النحوي مع الاضطراب الذي يقع فيها الشعراء، منها وضع الكلام في غير موضعه ممّا يتسبب في إبعاده عن قصده الذي ينبغي أن يوضع له في الأصل، حيث تنهوا "إلى موضوع التعليق. لما تبين لهم أنّ العرب لا تتكلم هكذا خبط عشواء، ولكن كلامهم قائم على قواعد وسنن محكمة عرفتها وحافظت عليها، بل هي عادة عند كلّ قوم" (حمدة عبد الله أبو شهاب، 2011، ص 12) من ذلك تغيير الحركات الإعرابية لمناسبة شعرية يراها الشاعر مناسبة، وقد اضطرب الأخطل إلى إحداث تغيير في البيتين فانتقل بذلك من وجه الكلام في قوله "بلغت نجران سواتهم أو هجر" لأن كلمة سوات تشير إلى يُبلغ من مكان إلى مكان آخر وليس يبلُغ، إذ يظهر التأويل النحوي في إظهار العلة النحوية التي توجّه الشاعر إلى ما ينبغي أن يكون عليه الكلام.

كذلك، مثل تقديم خبر ليس عليها، "ذهب الكوفيون إلى أنّه لا يجوز تقديم خبر "ليس" عليها وغليه يذهب أبو العباس المبرّد من البصريين، ذهب البصريون إلى أنّه يجوز تقديم خبر "ليس" عليها كما يجوز تقديم خبر "كان" عليها. وقد أجاز الأصمّهاني ذلك يقول: ... ولأنّ "ليس" بمنزلة "كان" في جواز تقديم الخبر عليه تقول: قائماً ليس بزيد"....» (الأصمّهاني يبدو من خلال هذه الشواهد، أنّ القياس هو أساس الاستدلال والتأويل، لأنّه يقدّم مسوغات منطقية يلجأ إليها النحاة من أجل الحكم النحوي على الشاهد مع إيجاد تفسير منطقي له، فإذا تتبعنا العلل النحوية عند العلماء سنجد أنّها مبنية على مصادر موثوقة من كلام العرب وسننهم في الكلام.

الفرع الثاني: السياق في التأويل النحوي عند ابن جني

سار النحاة في التعامل مع الظواهر اللغوية على منهجية أنّ العرب قاصدة لكلامها، و"ابن جني" قد أدرج باباً يوجّه الأنظار إلى هذه القضية عنوانه بـ «باب في أنّ العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليه»؛ إذ يقول فيه: "ألا ترى إلى أطّراد رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجرب بحروف الجرّ، والنصب بحروفه، والجزم بحروفه، وغير ذلك من حديث التثنية والجمع، والإضافة والنسب، والتحقيق، وما يطول شرحه؛ فهل يُحسن بندي لب أن يعتقد أنّ هذا كلّ اتفاق وقع وتوارد اتجه" (ابن جني أبو الفتح، ص 237، 238). يوجهنا هذا القول إلى قوة المرجعية الاجتماعية في توجيه قضية التأويل النحوي، فالعرب حينما أبانت وأفصححت في كلامها لم تكن بلغة واحدة بل بلغات متعدّدة، ومع ذلك توجد مسائل كأطّراد رفع الافاعل ونصب المفعول وغير ذلك، احتاجت إلى تأويل نحوي تكفّل به أهله عن طريق ربط العلل في بيان الغرض وأوجه الصواب اللغوي. بالسياق المناسبة لها.

تلك المسائل كما يوضح ابن جني لا تتعلق بالأصول وما اتفق عليه العامة والجمهور، بل في شيء من الفروع (كـ) (ما) الحجازية والتميمية فالتوجيه السياقي إلى النسبة يجعل القاعدة تتفرع بناء على قوانين كل واحدة منها وما اتفقت عليها لجماعة اللغوية؛ وكذلك الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية وتركها في التميمية، فهو خلاف وإن بدا على قلته إلا له يخضع للقياس، "فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف، ألا ترى الخلاف في (ما) الحجازية والتميمية، وإلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية، وترك ذلك في التميمية، إلى غير ذلك، قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته، محتقر غير محتفل به، ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور، فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به... ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه - على قلته وخفته - إلا له من القياس وجه يؤخذ به." (ابن جني، ص 243) لذلك القول بتعدد لغات العرب معناه أنها لا تجتمع على قاعدة واحدة، بل نسبة إلى القبائل التي بنت نظامها اللغوي وفق المتعارف في نهجها اللساني، لكن هذا الحكم يعد خطأ في نظر "ابن جني"، لأن الاختلاف في بعض التراكيب النحوية قد كان في الفروع لا الأصول؛ فالاختلاف بين الناظرين قد أخرج قياساً نحوياً يعلل الحكم.

لتبسيط الفهم أكثر، نأخذ مثالا عن الحال ضمن الأصل والتأويل النحوي:

تقول -وصكت وجهها بيمينها- أبعلي هذا بالرحى المتقاعس. (ابن جني، ص 245)

1) القياس النحوي للشاهد:

يظهر تحليل هذا الشاهد وفق قياس نحوي بين احتمالين اثنين بين الإنكار المعين، وحكاية الحال / المعين؛ بناء على هذا بين ابن جني العلة النحوية بين المعين والمعين، بقوله: "فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس - من غير أن يذكر صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكراً، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاضم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل (ليس المخبر كالمعين)..." (ابن جني، ص 245) نلاحظ بداية أن قضية التأويل تكون بين احتمالين أو حالتين ففي هذا المثال جاء التأويل النحوي بين سياق المخبر والمعين، فبينهما تختلف الدلالة ويظهر المقصد من الكلام أي بين التعجب الإنكاري في حال حذف -صك وجهه-، وبين قوة الإنكار في حال إتمامه، إذ تم القياس على أساس سياقي وفق مقتضى الحال فلو توافق الحكي مع المشاهدة كانت الدلالة أعرف وأبين لما في نفس المرأة التي صكت وجهها بيمينها.

2) التأويل النحوي للشاهد:

يبين التأويل النحوي للشاهد بين الأصل والفرع، بناء على اختلاف بين صيغة المفعول للمعين إذا أريد المخبر، وصيغة اسم الفاعل إذا أريد الخبر؛ يظهر في قوله: "الأصل في القاعدة هو ما عدا، ففيها ليس الخبر كالمعينة"، ويضبط ما هنا "المخبر" على صيغة اسم المفعول، فإن أريد به الذي يأتي إليه الخبر ضبط "المعين" بكسر الياء على صيغة اسم الفاعل، وإن أريد بـ "المخبر" النبأ يخبر به بضبط

"المعائِن" بفتح الياء على صيغة اسم المفعول "(ابن جني، ص 246) يقيم ابن جني البرهان في التأويل النحوي في أنّ الخبر ليس كالمعينة فإن أُريد المعائِن الذي يأتي عليه الخبر يتمّ ذلك باسم الفاعل، لكن إذا أُريد النبأ الذي يأتي به المعائِن فيكون ذلك باسم المفعول، ففي هذا التوضيح بيان ظاهر للعلة النحوية في الترجيح واستنباط الحكم النحوي.

(3) القياس النحوي:

يرى ابن جني "في باب في الحمل على الظاهر، وإن أمكن أن يكون المراد غيره" أنّ القياس النحوي يجري على قوّة الظاهر، فهي تعلّل القياس ويستشهد في ذلك برأي "سيبويه" في مثال "سيد" وكيف أنّ العرب لا تعرف في الكلام تركيبة (س ي د)، إذ يقول: "فإذا شاهدت ظاهراً يكون مثله أصلاً أمضيت الحكم على ما شاهدته من حاله، وإن أمكن أن تكون الحال في باطنه بخلافه؛ ألا ترى أنّ سيبويه حمل سيداً على أنّه مما عينه ياء، فقال في تحقيره: سَيِّد، كدَيْك ودُيِّك، وفيل وفيل، ... قيل: هذا يدلّك على قوّة الظاهر عندهم، وأنّه إذا كان مما تحتمله القسمة، وتنتظمه القضية حكم به وصار أصلاً على بابه. وليس يلزم إذا قاد الظاهر إلى إثبات الحكم تقبله الأصول ولا تستنكره لا يحكم به، حتى يوجد له نظير". (ابن جني، ص 251) من اللافت في القياس النحوي عند ابن جني أنّه وضع رأي سيبويه في سياق العرب، وهذا ليكون الاستدلال التأويلي مُقنعاً، فالعرب لا تعرف في الكلام تركيبة سيد، لذلك حمل سيبويه سيداً على أنّه مما عينه ياء، وبذلك تنتظم القضية في قوة الظاهر لإثبات الحكم ليبقى أصلاً إلى أن يوجد له نظير في كلام العرب. بذنا نجد في تحليل "ابن جني" أنّ التأويل النحوي يقوم على السياق والقياس والاستدلال فإن لم يكن معك دليل ظاهر فلا علّة قائمة وإن مكن أن يكون المراد غيره.

الفرع الثالث: العمل بالتأويل النحوي عند الكوفيين والبصريين في ترجيح القواعد

1. التأويل في عملية الإثبات:

يمكن أن نأخذ على سبيل المثال ما ذكره "ابن الأنباري" حول الخلافات النحوية بين الكوفيين والبصريين والعمل بالتأويل في ترجيح القواعد. ففي الفصل الثامن من كتابه "الإغراب في جدل الإغراب" نجده يتحدّث "في الاعتراض على الاستدلال بالنقل"، ودخول شرط التأويل في عملية الإثبات؛ "مثل أن يقول الكوفي: "الدليل على جواز ترك صرف/ ما ينصرف في ضرورة الشعر قول الشاعر:

وممن ولدو عامٍ رُذو الطول وذو العرض

{فترك صرف (عامر) وهو منصرف؛ فدلّ على جوازه}

فيقول له البصري: "إنّما لم يصرفه لأنّه ذهب به إلى القبيلة والحمل على المعنى كثير في كلامهم كقول الشاعر:

قامت تُبكيّه عل قبره: «من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة قد ذلّ من ليس له ناصر"

فقال (ذا غربة) ولم يقل: (ذات غربة) لأنّه حمّله على المعنى كأنه قال: (تركتني إنساناً ذا غربة)، و(الإنسان) ينطلق على الذكر والأنثى

فيقول له الكوفي: "قوله: (ذو الطول وذو العرض) يدل على أنه لا يذهب به إلى القبيلة، لأنه لو ذهب به إلى القبيلة لقال: ذات الطول."

فيقول له البصري: "قوله (ذو الطول) رجع إلى حيّ، ونحو هذا في التنقل من معنى إلى معنى قول الشاعر:

إن تميماً خلقت مَلُوماً

قوماً ترى واحدهم صَهِيماً

والصهيم: الذي لا ينثني عن مراده" (الأنباري، ص 49، 51).

يبدو من خلال هذا الشاهد النحوي الذي يتضمّن الخلاف في تصريف مالا ينصرف وجوازه في الشعر، أنّ المدرستين قد قدّمتا استدلالاً قوياً ترتبط بالشواهد الشعرية العربية التي تعارض على الاستدلال بالنقل أو تجيزه، إذ إنّ الجدل جاد لأنّ التأويل النحوي يشترط وجود علل ترجيحية وإثباتات سندية ينقل من معنى إلى معنى مقبول وليس الاستدلال عبثياً، تمثل ذلك في الاستشهاد بكلام العرب في عمليتي الدحض والإثبات، فهذا الشاهد يوضّح لنا كيف تتمّ عملية التأويل النحوي ضمن السياقي الاستدلالي المدعّم بالحجج والبراهين.

ذات الأمر نجده في الفصل التاسع من كتابه: "في الاعتراض على الاستدلال بالقياس"، حيث يعرض الطرفان الدليل قوي كوجه من أوجه الاستدلال يواجه به المعارض على رأيه، حتى يتمكن من إجازة الضرورة الشعرية وفق الاستدلال بالقياس، فيتم عرض الشاهد في مقابلة النص عن العرب. ففي هذا الفصل نجد أنّ الاعتراض على الاستدلال بالقياس يكون من سبعة أوجه هي: فساد الاعتبار، الفساد لوضع، القول بالموجب، المنع لعلّة، المطالبة بتصحيح العلة، النقض، المعارضة (ينظر: المرجع نفسه، ص 54، 62). حيث تمّ ضبط أوجه الاستدلال بالقياس وتقنين العملية ضمن إطار مرجعي مبني على المنطق الاستدلالي والعلل في الشواهد.

2. أصل الاشتقاق بين المصدر والفعل:

من أمثلة الخلافات النحوية أيضاً أصل الاشتقاق: المصدر أو الفعل، حيث يذهب الكوفيون إلى أنّ المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، بينما يذهب البصريون إلى أنّ الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، وهنا يظهر رأي "الأصفهاني" في ترجيح أحدهما على الآخر، وموافقة البصريين يقول: "...نحو" ضرب يضرب، هذا مشتق من "الضرب" عندنا وعند الكوفيين الضرب مشتق من ضرب"... (الأصفهاني، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني، 1990، ص 91، 92). الواضح من هذا الشاهد أنّ ترجيح الآراء عند النحاة يكون بناء على مبدأ التعليل والبرهنة.

ووفق ما بيّنه الباحث "غازي مختار طليمات"، يتعلّق التأويل في النحوب "النظر فيما نقل من فصيح الكلام مخالفاً للأقيسة والقواعد المستنبطة من النصوص الصحيحة، والعمل على تخريجها وتوجيهها لتوافق بالملاطفة والرفق هذه الأقيسة والقواعد، على ألا يؤدي هذا التوجيه إلى تغيير القواعد أو زعزعة صحتها أو إطرادها"، (غازي مختار طليمات، 1998، ص 249). يرتبط هذا القول بالتأويل الذي يعني إعادة

النظر والاستقراء كي يفهم النص كما ينبغي مع إرجاعه إلى أوله دون إخلال بالقاعدة الأصلية، حيث خرج النحاة إلى تعليله حتى تُضبط القواعد النحوية من الأصل إلى الفرع. يبدو أنّ الاستجاسة في النحو هي السبيل الذي يقرب لنا الفهم أكثر، لأنّ عودة التأويل باللغة إلى أصلها النحوي إنّما يتم باستدلال وتعليل، لهذا نجد أكثر المؤلفات النحوية تركّز على علل النحو، منهم "الزجاجي (ت337هـ): "أقول أولاً إنّ علل النحول ليست موجبة، وإنّما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها، ليس هذا من تلك الطريق. وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية" (أبو القاسم الزجاجي، 1979، ص64). فالجواز وعدمه في النحو هو حكم وضعه النحاة للخارج عن الأصل ليعود إليه مع وجود علة ترجيحية ومسوغات تجيز ما لا يجوز. لأنّ فائدة النحو، إذا أردنا الوقوف عندها، هي كما يقول "الزجاجي": "...لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب." (الزجاجي، ص95).

إذا تتبعنا الشواهد في محاولة فهمنا لحجاجة التأويل النحوي، سنجد أنّ التأويل النحوي موضوع يتعلّق بالمخالف من القواعد النحوية الذي يردّ بواسطة التأويل إلى أحكام النحو وأصوله؛ ومعنى أصول النحو: "أدلة النحو التي تفرعت منها فروعها وفصولها، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدليل"، (الأنباري، ص80) لأنّ إثبات النصوص النحوية يكون بناء على ما حدّده النحاة للاستشهاد بالدليل القاطع والأدلة النحوية التي جعلها "ابن الأنباري" ثلاثة أقسام هي: "نقل وقياس واستصحاب حال" (الأنباري، ص81).

خاتمة:

لقد سلك علماء العربية القدامى مسالك منهجية عديدة في دراسة وتفسير الظواهر اللغوية لتقديم استنتاجات علمية حول قواعدها والاستراتيجيات السليمة لبنائها، على الوجه الذي ترضيه سنن اللغة العربية، ولأنّ الأمر قد ارتبط بكلام العرب وسعته، كان التأويل أحد الوسائل المنهجية التي لجؤوا إليها في حال تقاطعهم مع اطراد في القياس أو تعارض الفرع مع أصول القاعدة النحوية، إذ يرجع إليه من أجل ردّها إلى ما ينبغي أن تكون عليه وفق أصول النحو وأحكامه.

لم يخرج التأويل إذ ذاك عن الجهاز المفاهيمي أو المنظومة المصطلحية السياقية التي يشتغل ضمنها النحو، بل كان كما هو معناه اللغوي: آخر الأمر وعاقبته، حيث ارتبط بالقياس والعلل الترجيحية والمسوغات والشواهد، والتحليل النحوي، ضمن سياق خاص هو أصول النحو وأحكامه، ففتح ما استغلق من فهم للنصوص وأعاد قراءتها وفق التأويل النحوي الذي يرجع ما انحرف إلى سبيله، اتباعاً لضوابط منهجية نحوية دقيقة.

على هذا، كان التأويل النحوي بمثابة إجراء لغوي وسياقي على حدّ سواء، يعتمد النحوي للردّ على ما أشكل في المسائل النحوية، لذلك نجده قد ارتبط بالجانب الإجرائي العملي، لأنّ التعرّف على ماهيته كمصطلح في كتب الأوّلين كان في شكل إشارات تحليلية تطبيقية تظهر الحاجة الملحة إليه.

ما يمكن استنتاجه من كلّ ما سبق: هو أنّ التأويل النحوي في عمل النحاة بمثابة إجراء تجريبي ومسوّغ نحوي وضرورة في عمل النحوي من أجل إيجاد تخریجات سليمة للمسائل النحوية المشكلة، وفق قواعد قياسية وعلل ترجیحية تبرهن سبب إرجاع الفرع إلى أصله، فقد عدّ إجراءً أصيلاً في جهود النحاة خصوصاً في الجوانب اللغوية والدلالية والمقاصدية، لأنّ الغرض منه، هو فهم النصوص وتحليل تراكيها اللغوية وفق سياق كلام العرب تبيناً لمقصدها النحوي.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، سوريا، ج1، ج5.
- محمد عيد، 1989، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب، القاهرة.
- غازي مختار طليمات، 1998، أثر التأويل النحوي في فهم النص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ع15.
- أبو الحسين أحمد بن فارس، (د ت)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: السيد أحد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- أبو البركات عبد الرحم بن محمد الأنباري، 1971، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، دار الفكر.
- إيثار شوقي سعدون، 2012، التأويل النحوي في القرآن الكريم، قصة موسى عليه السلام أنموذجاً، مجلة كلية التربية الأساسية، ع76.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، 1998، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، ج1.
- عبد الفتاح أحمد الحموز، 1984، التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ج1.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) 1983، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ج1.
- أبو سعيد السيرافي، 2008، شرح كتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
- الأصفهاني، أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني، 1990، شرح اللمع للأصفهاني، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج1.
- أبو القاسم الزجاجي، 1979، الإيضاح في علل النحو، دار النفائس، بيروت، ط3.
- ابن جني أبو الفتح عثمان، 2006، الخصائص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج1.